خطة الفصل:

1. أهم الأدباء الذين ساهموا في دعم القومية العربية.

2. تأسيس المدارس الحديثة، والصحافة، والطباعة.

3. العقبات التي حالت دون تحقيق القومية العربية.

حالة المسيحيين العرب الفكرية خلال القرنين التاسع عشر و العشرين:

اختلفت أوضاع الحالة الفكرية حوالي نهاية القرن التاسع عشر وفجر القرن العشرين اختلافاً كبيراً في بلاد الشام الغارق في سبات، إلا ما كان من أثر بعض الإرساليات الدينية التي كان طلابها يتعلمون، إلى جانب الثقافة المدرسية الحديثة، بعض اللغات الأوروبية من إيطالية و فرنسية وإنكليزية وألمانية.

1. أهم الأدباء الذين ساهموا في دعم القومية العربية:

أ. ناصيف اليازجي(1800- 1887):

ولد الشيخ ناصيف في قرية (كفر شيما) من قرى ساحل بيروت في 25 مارس 1800م وتلقى مبادئ القراءة على راهب من (بيت شباب) يدعى القس متى. وتألق نجم الشيخ ناصيف وهو بعد في السادسة عشرة من عمره بما كان ينظمه، وعنى بالخط عناية خاصة فجوده وبرع به فاتصل خبره بالبطريرك أغناطيوس للروم الملكيين الكاثوليك. فدعاه ليكتب له في دير (القرقفة) الواقع على هضبة من هضبات كفر شيما، فبقى عنده مدة سنتين، وبعد انتقال البطريرك إلى (الزوق) من أعمال كسروان، ترك ناصيف مهمته ورجع إلى قريته يواصل الدراسة والمطالعة وقرض الشعر.[1]

علم من أعلام البيان و سيد من سادة العلم و أركان النهضة العلمية في لبنان وهو أشهر من أن يعرَّف لما كان له من القدح المعلّى في اللغة والشعر والأدب، وهو أول من راجت كتبه اللغوية في المدارس العربية من النصارى؛ وانقادت له اللغة العربية[2] فتمكن منها وتمسك بجذورها، فما شردت عنه خاطرة ولا ندّت عنه بادرة إلا أخذ بتلابيبها وتمرّس بأسرار الفصحى وسبر غورها ووقف على حقائقها ودقائقها واحتذى حذو أئمتها الأعلام، فما قصر عنهم بشيء. فتحدى أمتن منشئ العرب بإنشائهم، وعارض أفخم شعرائهم مقتفياً أنبغ علمائهم في علومهم المختلفة من صرف ونحو وبيان وبديع ومنطق وطب وقد حصل معارفه هذه على نفسه حتى غدا أول نابغة مسيحي في القرن التاسع عشر للميلاد تجاوب صدى اسمه في الأقطار العربية فراسله كبار

[1] **عيسى ميخائيل سابا**، نوابغ الفكر العربي6 (الشيخ ناصيف اليازجي)، دار المعارف، مصر، 1965، ص ص10-11.

[2] لم ينقطع النصارى يوماً عن خدمة العربية وتعهّد آدابها وعلومها. فقد كان لهم في الجاهلية شعراء وخطباء مبرّزون، أوقدوا جذوة النهضة، واترعوا البادية بمنهل قرائحهم. وكان ملوكهم في الحيرة والشام يعززون الشعر، ويرفعون أصحابه، ويجزونهم أحسن جزاء. أنظر: **بطرس البستاني**، أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث، ج3، دط، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1988، ص 225.

الأدباء وعيون العلماء ونظروا إليه نظرة اعتبار واحترام، فكان زهرة عبقة تضوع أريجها في الأنحاء العربية. فكان أكبر عامل في النهضة الحديثة. و هو بشهادة أبناء جيله (أنه من نوادر الدهر وأفراد رجال العصر الذين باهت بهم الأيام ونشرت مآثرهم بأسنة الأقلام) فهو في طليعة الذين بعثوا اللغة الفصحى بعد هجوم طويل وأظهروا محاسنها كما يتضح لمن طالع كتبه وخبرها وتخرج عليه. فكان حجة في اللغة و الأدب.[1]

آثار ناصيف اليازجي: لقد كان ملماً ببعض فنون عصره كالطب والموسيقى، وقد حافظ على ذلك العلم بجمعه جمع عارف خبير، يؤلفه أو يختصره بأسلوب عرف به وحده، ومن مؤلفاته:

- **في الصرف والنحو:**

- لمحة الطرف في أصول الصرف: أرجوزة في سبع عشرة صفحة مشروحة بقلمه ألفها سنة 1845
- طوق الحمامة: وهو مختصر نثري يقع في عشرين صفحة صغيرة طبع في المطبعة المخلصية سنة 1865

- **في المنطق:**

- قطب الصناعة في أصول المنطق: رسالة نثرية تقع في سبع وثلاثين صفحة صغيرة الحجم، اقتصر فيها على المبادئ المهمة في أنواع القضايا وضروب القياس، فرغ منها سنة 1857طبع أربع مرات في بيروت في المطبعة الأمريكية، الطبعة الأولى سنة 1857 والطبعة الأخيرة سنة 1913.
- التذكرة في أصول المنطق: أرجوزة صغيرة جعل في صلبها أركان المنطق، ألحقت برسالة(قطب الصناعة) فألفت خمسين صفحة من الحجم الصغير.[2]

ب.**بطرس البستاني (1819- 1883):**

ولد المعلم بطرس البستاني في الدبية من لبنان سنة 1819، وتعلم في مدرسة عين ورقة العربية والسريانية واللاتينية والإيطالية، والمنطق والتاريخ، والجغرافيا والفلسفة واللاهوت والحق القانوني. ثم هبط بيروت، واتصل بالبعثة الأمريكية وقرأ عليهم الإنجليزية واليونانية، وطرفاً صالحاً

[1] **عيسى ميخائيل سابا**، المرجع السابق، ص ص 36-37.

[2] نفس المرجع، ص61.

من العلوم العصرية، وأنشأ مجلته "الجنان" سنة 1870، سياسية علمية أدبية تاريخية، تظهر مرتين في الشهر[1]. وله مصنفات أهمها "بلوغ الأرب في نحو العرب"، وقاموس "محيط المحيط"[2]، آمن بطرس البستاني بمبادئ المساواة والحرية الكاملة والتطور التقدمي و سيطرة الحق و النظام و القانون (أي بمبادئ الثورة الفرنسية) التي فتحت صفحة جديدة في التاريخ، كما آمن بإقرار دستور حديث يحترم التمثيل الشعبي ويفصل الدين عن الدولة. توفي في بيروت سنة 1883م.

ج. **فرنسيس فتح الله مرَّاش (1836- 1873م):**

بمقاييس اليوم، يمكن إطلاق صفة الليبرالية على مجمل كتابات الرائد التنويري الحلبي فرنسيس أفندي فتح الله مراش. إذ إنّ صاحب "دليل الحرية الإنسانية" 1861 كان نموذجاً مبكراً وناضجاً للعقلانية والنهضوية العربية. ولعله هو من فتح الباب بعد ربع قرن لمواطنه عبد الرحمن الكواكبي كي يكتب "طبائع الاستبداد" .كشف مراش في مجمل مؤلفاته، البون الشاسع بين الظلم الذي ساد في الدولة العثمانية، والحرية السياسية التي كانت أوروبا تتمتع بها .صدور أعماله الكاملة ضمن منشورات "الهيئة العامة للكتاب" في دمشق، والتي جمعها وقدّم لها محمد جمال باروت، فرصة نادرة للاطلاع عن كثب على منجز هذا التنويري الحلبي الذي طالما تغنّى بمبادئ المحبة الإنسانية والعدالة وتثقيف العقل وتوطيد الحق والحرية .ويشير جمال باروت إلى أنّ كتاب "غابة الحق" 1865 من أعظم كتب مراش على الإطلاق، «ولقد أتى من الناحية الأسلوبية في شكل يحاكي السردية الروائية، ولا ريب في أنها من الإرهاصات الأساسية في نشأة الرواية العربية، وتتضمن سمات الشمولية الفنية المنفتحة على عدة أنواع وأجناس أدبية متمازجة أو متراصفة». وإذا كان بعضهم يرى في «غابة الحق» باكورة الرواية العربية، فإنّ أهمية هذا النص تكمن في مقاربته الناضجة لامتصاص نظريتي "الحق الطبيعي" و "العقد الاجتماعي" في فكر عصر الأنوار الأوروبي. ويوضح باروت أن المراش امتص هاتين النظريتين وأعاد تأويلهما «بعقلٍ ليبرالي بازغ في زمن الرهان على مرحلة التنظيمات». كذلك فإنّ "غابة الحق" هي أول صياغة عربية للفكر التنويري الأوروبي،[3] و«تتميز بعمق التمثّل ومحاولة إعادة الإنتاج» وهي كذلك أحد أبرز التمثلات

---

[1] **بطرس البستاني**، المصدر السابق، ص 409.

[2] **محمد عبد الله عودة، إبراهيم ياسين الخطيب**، المرجع السابق، ص 126.

[3] **خليل صويلح**، أعماله الكاملة من دمشق (فرنسيس المراش نموذجاً مبكراً للنهضوية العربية)،مقال إلكتروني، يوم الإثنين 20 أفريل 2015، على الساعة 16:40 http://al-akhbar.com

الليبرالية التنويرية العربية الناضجة لعصر الأنوار والنزعة العقلانية العلمية للقرن التاسع عشر رغم عمره القصير وإصابته بالعمى أواخر أيامه، ترك المراش عدداً من الكتب المهمة مثل «المرآة الصفية في المبادئ الطبيعية» 1861، و«خطبة في تعزية المكروب وراحة المتعوب» 1864، و«مشهد الأحوال» 1870، إضافة إلى ديوان شعري بعنوان "مرآة الحسناء"

وأصدر في عام 1866 كراساً تحت عنوان "رحلة إلى أوروبا" صور فيه فرنسا بأنها دولة تعمل كل مكوناتها ككل واحد (يسبح في محيط من الأمن والسلام) دون خوف من تهديد خارجي أو خيانة داخلية.[1]

د. إبراهيم اليازجي (1847 – 1906):

إبراهيم بن ناصيف اليازجي، نصراني من طائفة الروم الملكيين.[2] أديب وشاعر لبناني. ولد في بيروت لأسرة هاجرت أصولها من مدينة حمص في سوريا. تتلمذ على والده الشيخ ناصيف أحد أئمة الأدب واللغة في العصر الحديث، فنشأ على هدي والده، فأحب الأدب وأولع بالشعر، فنظمه مبكراً، وتعمق في دراسة اللغة والأدب. نادى بالحريَّة و الاستقلال، والنضال ضد العثمانيين، فكان له نشاط أدبي و سياسي ملموس أيقظ من خلاله مشاعر أمَّته، فنشر القصائد اللاهبة التي كانت غفلاً من التوقيع. وظلَّ ينادي بالحرية حتى وفاته. كان إبراهيم اليازجي صوتاً ثائراً انطلق متحدياً الاستبداد يوقظ الغافلين باللوم والتقريع، ويستعيد في شعره سيرة الآباء والأجداد، محاولاً تذكيرهم بأمجادهم الغابرة وذلك من خلال نشاطه في الجمعية العلمية السورية . السابق الذكر- التي كانت تضم صفوة رجال الفكر والأدب.

عبر عن تطلع الفكرة العربية بالدعوة للقومية العربية في مواجهة القومية التركية حيث قال:[3]

تَنَبَهُوا وَاسْتَفيقُوا أَيُهَا العَرَبْ فَقَد طَمَى الخُطَبْ حَتَى غَاصَتْ الرُكَبْ

فِيمَ التَعلُّل بالآمَالِ تَخدعكم وأَنتم بَينَ رَاحَاتِ القَنا سُلُبُ

[1] **حسين العودات** ،الآخر في الثقافة العربية (من القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين)، ط1، دار الساقي، بيروت، لبنان، 2010، ص ص 276-277.

[2] **بطرس البستاني**، المصدر السابق، ص 362.

[3] **رأفت الشيخ**، المرجع السابق، ص 12.

فَشَمِّرُوا وَانهَضُوا للأَمْرِ وَابْتَدِرُوا من دَهْرِكُم فُرصة ضنَت بهَا الحقَبُ

إبراهيم اليازجي شاعر قومي ثائر، يمثل درجة عالية من الوعي القومي في عصره. و نصه الذي أوردناه . على قصره . صورة نفسه الثائرة الساخطة، فهو يصيح بأبناء شعبه منبهاً، يحاول إيقاظهم من غفلتهم وذهولهم، واستسلامهم للذل والهوان؛ فلقد عمت الخطوب وأحاطت بهم المصائب، وهم يمنون النفس بآمال براقة، وأوهام خداعة، والحقيقة أن العدو متربص يتحين اللحظة المناسبة لينال منهم، ويشتت شملهم، ويذهب رياحهم.[1]

فالعجب لمن استكانت نفسه ووطنت على المذلة حتى كادت تصير جزءاً من شخصيتهم أو موروثاً فطرياً طبيعياً تأتى لهم عبر مئات السنين، وهو ليس بذلك، بل إنهم حفدة أجداد عظام دانت لفتوحاتهم مشارق الأرض ومغاربها وكانوا سادة العالم، وشادوا حضارةً ماتزال آثارها شامخةً تشهد لهم، بوطيد أركانها وبسوق بنيانها.[2]

كان اليازجي عفوياً، لم يتكلف ولم يتصنع، فموضوعاته نابعة من وجدانه ومما يحس به ويعاني منه أبناء شعبه.

هـ. <u>أديب إسحاق (1856- 1885)</u>:

رأى بأن الحرية حق طبيعي، وآمن هو أيضا بمبادئ الثورة الفرنسية، لكنه في الوقت نفسه هاجم الاستعمار الأوروبي، وفضحه فضحا مفعما بالحسم والشدة ، وكان يرى استعمار الشعوب جريمة، ويستاء من التسامح الذي تبديه البشرية، في الوقت الذي يجري فيه الحكم بالعبودية على شعوب بأكملها[3] .

و. <u>نجيب عازوري توفي عام (1916)</u>:

ولد في عازور، قرية صغيرة في جنوب لبنان، والده جريس حنا عازوري وأخوه الأب يوسف اللعازري المدرس في كلية عينطورة الشهيرة. ابنته كورناليا التي تزوجت من يوسف اللحام، وجيه من غزة. وابنه انطوان، وقد عمل كمفتش لدى البعثة العلمية الأمريكية في بني غازي. التحق

[1] **فواز الشعار**، الموسوعة الثقافية العامة (الشعراء العرب)، ج2، دار الجيل، بيروت، دس، ص ص57. – 58.

[2] نفس المرجع، ص 58.

[3] **حسين العودات**، الآخر في الثقافة العربية، المرجع السابق، ص 277.

بمدرسة الفرير في بيروت وتابع دراساته العليا في العلوم السياسية في باريس، حيث حاز على الدبلوم من مدرسة الدراسات العليا. ويعرف به جورج أنطونيوس فيقول: (عربي نصراني، ظهر نشاطه في السنوات الأخيرة من حكم عبد الحميد)[1]، تبوأ بمساندة الأخوين ملحمة عضوي مجلس المبعوثان والبطريرك حايك منصب مساعد حاكم القدس ما بين 1898 – 1904م. اعتزل منصبه سنة 1904م ليتفرغ للعمل السياسي.[2]

وضع نجيب عازوري عدداً من المؤلفات لم يصل منها سوى كتاب واحد هو "يقظة الأمة العربية"، أما الكتب الأخرى التي ذكرها هو بنفسه وذكرها صديقه آجن جنك في (الثورة العربية)، فلم يتم العثور عليها حتى في المكتبة الوطنية في باريس، ويظهر أن الصهيونية العالمية قد أخفت هذه الكتب بسحبها وإتلافها.[3] وهذا ثبت في كتبه:

- يقظة الأمة العربية
- الوطن العربي: دراسة معمقة للوضع الراهن ودراسة مستقبل الأقطار العربية الآسيوية.
- الخطر اليهودي العالمي، تصريحات ودراسات سياسية.
- الدول الأجنبية ومسألة المقدسات المسيحية في الأرض المقدسة، خلاصة تاريخية وعرض للوضع الراهن.

بالإضافة إلى مقالات وأبحاث في مجلة (الاستقلال العربي)[4] والجرائد الفرنسية.

- مقولاته:

☒ الفكرة الرئيسية هي ضرورة وعي العرب لقوميتهم، وضرورة فصل الدين عن الدولة، بإقامة خليفة لكل المسلمين من سلالة النبي (صلى الله عليه وسلم) يمارس سلطاته الدنيوية في الحجاز وسلطته الدينية على جميع مسلمي العالم. كما أن عازوري كان من أنصار اللامركزية يدعو لاحترام الحكم الذاتي في لبنان والأماكن المقدسة.

---

[1] **جورج أنطونيوس**، المصدر السابق، ص 172.

[2] **نجيب عازوري**، المصدر السابق، ص 17.

[3] نفس المصدر، ص 22.

[4] **مجلة الاستقلال العربي:** أسسها نجيب عازوري بمعية كتاب فرنسيين مشهورين، ظهر عددها الأول في أفريل 1907م معلنة عن أن هدفها نشر المعرفة عن البلاد العربية وإثارة الاهتمام بقضية تحريرها. وتوقفت عن الصدور حين اعلن الدستور العثماني في جويلية 1908م، وكان مجموع إصدارها 15 عدد. أنظر: **مسعود الخوند**، سورية المعاصرة، المرجع السابق، ص 30.

☒ يؤمن بأن استقلال العرب سيؤدي إلى تحرر مختلف شعوب العالم.

هدف القوميون – أمثال إبراهيم اليازجي ونجيب عازوري – إلى إبعاد الدين كلياً عن العمل القومي. وقد أصبح المفكرون المسيحيون طليعة التغيير لأنهم أبدوا أكثر من غيرهم استعداداً للتجاوب مع القوى الجديدة في الغرب[1] وكان أمراً طبيعياً أن يرغب هؤلاء في تأسيس دولة قومية لا علاقة لها بالإسلام. كما كان المفكرون العرب من المسيحيين بحكم كونهم أفضل المترجمين للفكر السياسي والقيم الغربية، أول من أيد فكرة القومية العربية الخالية من أي مضمون إسلامي. و قد أكدوا أنه لا يمكن للدولة الحديثة أن تسمح بوجود مواطنين من الدرجة الثانية كما كان عليه حال أهل الكتاب عند ظهور الإسلام. وقالوا أن الفصل بين الدين والدولة أمر فيه مصلحة كل من الإسلام والشعب العربي. وعلى كل حال، كان القوميون، في محاولتهم بناء دولة عصرية على أساس قومي وعلى غرار النظام السياسي الغربي، ميالين لتقليص الدين إلى (رقابة الضمير الشخصي) وجعله وسيلة للصلة الشخصية بالخالق.[2]

2. تأسيس المدارس الحديثة والصحافة والطباعة:

أ. المدارس الحديثة:

وكانت على أنواع منها المدارس التبشيرية الأجنبية والمدارس الرسمية و الأهلية، بدأت البعثات التبشيرية الأوروبية تتوالى على الوطن العربي منذ القرن السابع عشر، وقد قامت هذه البعثات بنشر ثقافتها، وتدريس شتى العلوم في المعاهد التي شيدتها، ووجهت عناية فائقة إلى العربية، وطبع كثير من أمهات الكتب العربية ومخطوطاتها، وكانت تهدف إلى إحداث صدع في الدولة العثمانية بإذكاء روح الانفصال بين العرب و الأتراك، وقد ساعدت هذه الكتب على تقوية الروح القومية. وكانت المدارس التبشيرية منتشرة في لبنان بشكل خاص، ومن هذه المدارس كلية عزير للإرساليات الكاثوليكية وأصبحت فيما بعد الجامعة اليسوعية، والكلية السورية للإرساليات البروتستانتية وأصبحت اليوم الجامعة الأمريكية، وأسست المدارس الأهلية مثل مدرسة زغرتا وعين ورقة اللتان أنشأتهما الطائفة المارونية، وكانتا تعتنيان بتدريس الأدب العربي، وتخرج منهما أدباء

[1] **يقول نجيب عازوري:** (لا يملك أحد الحق في حكمنا غير فرنسا، ولن يهتف بحرارة لأية دولة غيرها في الأقطار العربية يوم يتقرر تجزئة الإمبراطورية التركية). أنظر **نجيب عازوري، المصدر السابق،** ص 28.

[2] **باسل الكبيسي،** المرجع السابق، ص ص 56– 57.

كثيرون منهم ناصيف اليازجي و بطرس البستاني، والمطران يوسف الدبس الذي أسس مدرسة الحكمة، وهكذا أخذ التعليم ينتشر في أنحاء سورية[1] وتتابع تأسيس المدارس التبشيرية في مختلف أجزاء الوطن العربي[2]

ب. الصحافة:

ولدت الصحافة العربية على أيدي الأجانب من فرنسيين وأمريكيين لأن هذا الفن بضاعة دخيلة لا عهد للشرق بها قبل امتزاجه بالغرب،[3] وكانت رواية الأخبار و القصائد و الأشعار في حلقات المنتديات العامة، والمجالس الخاصة هي الوسيلة الوحيدة التي يتناقل بها الجمهور الأخبار العامة.

ومعلوم أن إيطالية ومدينة البندقية بصفة خاصة، هي مركز أول صحيفة أوروبية، ففي سنة 1566م، وبعد انتشار فن الطباعة، وجدت أول جريدة، ولم تلبث الصحافة أن انتقلت إلى بلدان أوروبا فسائر بلاد الغرب، ولم تصل الصحافة إلى دنيا العرب إلا بعد سنة 1799م، حينما أسس نابليون في مصر أول جريدة. ثم أنشأ المبشرون الأمريكان في بيروت أول مجلة عربية بعنوان (مجموع فوائد) في سنة1815م. وكان للشاميين فضل في نشر الصحافة في العالم العربي، وبخاصة حين زاد ضغط الدولة العثمانية على الشام، واضطر نفر من رجالاته المثقفين إلى الهرب منه واللجوء إلى بعض الأقطار المجاورة[4].

كانت أولى المجلات "نفير سورية" للمعلم بطرس البستاني وجريدة "البيان"[5] التي أنشأها سنة 1923م، و "البشير" للآباء اليسوعيين 1870م. ومن أهم الصحف والمجلات التي كانت تصدر آنذاك: عبد المسيح حداد مؤسس جريدة (السائح) من المغترب كما انه يعد مؤسس الرابطة القلمية[6]

---

[1] **محمد أسعد أطلس**، المرجع السابق، ص 99.

[2] **محمد عبد الله عودة، إبراهيم ياسين الخطيب**، المرجع السابق، ص 127.

[3] **بطرس البستاني**، المصدر السابق، ص 400.

[4] **محمد أسعد طلس**، المرجع السابق، ص ص 102-103.

[5] من الجرائد المصورة التي انتشرت بعد الحرب ، وهي أسبوعية بثماني صفحات، ثم باثنتي عشرة صفحة، ثم بعشرين، وحجبها سنة 1930. وكانت مباحثها تشتمل على سياسة وأدب ونقد وقصص. أنظر: **بطرس البستاني**، المصدر السابق، 405.

[6] **فدوى نصيرات**، المسيحيون العرب وفكرة القومية العربية في بلاد الشام ومصر (1840 ـ 1918م)، محاضرة ألقيت يوم 12-04 - 2010م، جامعة فيلا دلفيا، ص 6.

ونجيب عازوري الذي بدأ يتعاطى الكتابة، بمساعدة السيد لاتليه letlellier والسيد هنري سيمون، وفتحت la liberte و le figaro و lecho de paris صدورها لمقالاته ابتداءً من عام 1905م وبعدها أصدر (مجلة الاستقلال العربي) التي استهدفت التعريف بقضايا الشرق، ولقد كانت المجلة جد مقروءة في الخارج. وبعد انتقاله إلى مصر أصبح مدير جريدة يومية مصر فترة من الزمن، إلا أن جلَّ اهتماماته في مصر كانت تنظيمية، سواءً منها تنظيم المحافل الماسونية أو المؤتمرون، المؤتمر العربي الأول سنة 1905م، والمؤتمر السوري العربي سنة 1913م.[1]

أما الصحف اللبنانية في بيروت فقد تقهقرت تقهقراً مشؤوماً في عهد عبد الحميد ولم ينبض لها وتر إلا بعد أن نودي بالدستور العثماني سنة 1908م. فعادت إلى النهوض والانتشار، وكثرت حتى لم تقتصر على بيروت بل جاوزتها إلى المدن والقصبات في لبنان. وكذلك الصحف السورية.[2] يقول الفيكونت دي طرازي في كتابه « تاريخ الصحافة العربية » الجزء الرابع: « لكننا إذا اعتبرنا عدد الصحف في كل دولة نسبة عدد سكانها ومساحة أرضها فيكون لبنان أسبق جميع البلدان في ميدان الصحافة العربية».[3]

ج. الطباعة:

لاريب في أن رقي الصحافة العربية متوقف على رقي الطباعة، فقد سارت المطبعة جنبا إلى جنب مع الجريدة والمجلة، فحيثما كانت الطباعة راقية مزدهرة كانت الصحافة كذلك، ومن المعلوم أن بلاد الشام، وبخاصة لبنان منها، كانت أول البلاد العربية التي وجدت الطباعة فيها، ففي سنة 1610م أنشئت أول مطبعة في لبنان أهداها البابا إلى الرهبنة اللبنانية في دير قزحيا، وفي سنة 1753م أنشئت مطبعة القديس جاور جيوس في لبنان.

ومن الطبيعي أن مطبوعات هذه المطابع لم تكن إلاَّ دينية. وفي سنة 1820م أنشئت المطبعة الأمريكية في مالطا ثم نقلت إلى بيروت في سنة 1832م[4].

---

[1] **نجيب عازوري**، المصدر السابق، ص 20.

[2] **بطرس البستاني**، المصدر السابق، ص 404.

[3] نفس المصدر، ص 406.

[4] **محمد أسعد أطلس**، المرجع السابق، ص ص 103 – 104.

أما في القدس فلم تأذن الآستانة للإخوة الأصاغر بإنشاء مطبعة حتى منتصف القرن التاسع عشر. ولم يكن هذا الحد بل زُوِّدت المطبعة بأحرف عربية و لاتينية. و كان أول إنتاجها عام 1847م طباعة ألف نسخة من العهد الجديد وُزِّعت على طلاب المدارس. وفي السنة نفسها طُبع أول كتاب للتعليم المسيحي بالعربية ألفه الكاردينال روبرتو بيلر مينو (RobertoBellarmino)، وعنوانه " التعليم المسيحي".[1]

هكذا أخذ الكتاب العربي يصدر عن المطبعة الأمريكية أو اليسوعية ويحتل مكانه في خزائن دور الكتب أو دور السكن، واستطاع الجانبان المتنافسان أن يصدرا في فترة قصيرة عدداً ضخماً من الأشعار القيمة، وقد استخدم المبشرون البروسبيتيريون (الأمريكان) العالمين اللبنانيين الجليلين لتأليف الكتب وتصحيح ما يطبع منها وهما (ناصيف اليازجي) و (المعلم بطرس البستاني)[2]

وهكذا نمت بذور القومية التي زرعها المسيحيون العرب من خلال النوادي الأدبية في نهاية القرن التاسع عشر، وتطورت من حركة مثالية محصورة في إطار مجموعة صغيرة من المفكرين النخبة إلى حركة تحررية تضم عدداً متزايداً من الناس.[3]

3. العقبات التي حالة دون تحقيق القومية العربية:

أ. الحركة الطورانية:

شقت طريقها في تمزيق العرب، بحيث قام الاتحاديين - في هذه الفترة - على إعداد الدولة العثمانية لحركة التغريب في عديد من الجهات :

- محاولة تتريك الأعراق البشرية الداخلة في نطاق إمبراطور يتهم وخاصة العرب.

- وضع العقبات أمام وحدة العرب والترك بتعليق العرب على المشانق في الشام[4].

[1] **جميل مدبك** ، الكنائس الشرقية1،المرجع السابق، ص20.

[2] **محمد أسعد أطلس**، المرجع السابق، ص 99.

[3] **باسل الكبيسي**، المرجع السابق، ص49.

[4] **أنور الجندي**، تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام الحديث (السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية)، ط1 ، دار ابن زيدون، بيروت، لبنان، 1407هـ، ص 116.

- إلغاء الأحزاب العربية كافة، ومقاومة الحركة الإصلاحية التي كانت قد ظهرت في سورية ولبنان والعراق، وإنشاء شعبة في وزارة الداخلية لمراقبة ومقاومة الحركة القومية العربية وقادتها، وتكليف جمال باشا (الملقب بالسفاح)، الذي كان وزيراً للحربية واصبح قائداً عاماً لبلاد الشام خلال الحرب العالمية الأولى، وضع برنامج عمل لتطبيق هذه المقررات والإشراف على عمليات التنفيذ مباشرة.[1]

تطويع الحركة القومية للمسيحيين العرب في خدمة الأهداف الحربية البريطانية بضرب المسيحيين العرب بحكام الإمبراطورية العثمانية، والقضاء على الاثنين معاً.[2]

ب. <u>الحركة الاستعمارية (البريطانية والفرنسية)</u>:

لقد سقطت شعارات القومية العربية، كما سقط نهجها وفكرها ومدارسها وقادتها، أمام التحديات الجسام التي واجهت الأمة العربية، كما سقطت القومية العربية أمام الأخطار التي تهدد الأمن القومي العربي، وسقطت أمام الانتداب البريطاني إثر انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأولى فقد تسنى لبريطانيا بسط نفوذها على أجزاء من المنطقة كانت فلسطين من ضمنها وأصبحت فلسطين بالتالي تحت الانتداب البريطاني(1922 – 1948)[3]، و اجتياح أمريكا وحلفائها للعراق، وفي حصار غزة واجتياحات الضفة الغربية وضياع كل فلسطين، وسقطت في الاجتياحات المتكررة لجيش الكيان للبنان، وفي حرب العراق والكويت، كما غاب دورها في تحقيق الوحدة بين شطري اليمن، وأخفقت في المحافظة على الوحدة المصرية السورية إبان أوج وانتعاش مبادئها، حتى يئست الجماهير من كل الأفكار والأطروحات التي سرعان ما أن تهاوت أمام الضربات الإسرائيلية والأمريكية، وأمام المخططات المعادية التي تنهب خيرات الأمة وتستبيح كرامتها، وأفرزت كل تلك الأحداث مناخا دفع نحو الإيمان بالبندقية كطريق أفضل؛ من أجل إحقاق الحقوق وعودة الكرامة.[4]

---

[1] **مسعود الخوند**، سورية المعاصرة، المرجع السابق، ص 35.

[2] **زهدي الفاتح**، لورنس العرب على خطى هرتزل، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1971، ص 64.

[3] **مسعود الخوند**، الموسوعة التاريخية الجغرافية (فلسطين – قبرص)، ج14، دط، لبنان، 1999، ص 29.

[4] **تحسين يحيى أبو عاصي**، هل سقط فكر الحركة القومية العربية ..؟، مقال إلكتروني، يوم الجمعة 24 أفريل 2015، على الساعة 18:25، http://www.startimes.com

إضافة إلى تنامي تيار التطرف لدى بعض الحركات الإسلامية، أدى إلى خشية الأقلية المسيحية من نمو هذا التيار وبحثها عن أوطان بديلة وعن قضايا بديلة، واستسلامها لمفاهيم وقيم أخرى تبعد هذه الأقلية عن قضاياها القومية وعن بلدانها الأصلية وعن الاهتمام بمشكلات مواطنيها. وانكفأ بعضهم ليبرز اهتمامه بالقضايا الطائفية أكثر من أي شيء آخر. ولم تتواصل البلدان العربية بشكل جدي مع الجاليات المهاجرة بعامة والمسيحية بخاصة، ما أفقد هذه الجاليات بعض فعاليتها في مجال النشاط القومي والوطني، وتركها أمام تأدية مهمات معاشية محلية وتجارية ويومية لا تهتم بقضايا الأوطان الأصلية كما ينبغي، ولا يعتبر أعضاؤها أن من واجباتهم القيام بمهمات قومية، ويتنامى ضعف التواصل هذا على رغم تفجر وسائل الاتصال والإعلام وتقارب المسافات، وتحول العالم إلى قرية صغيرة. كما لعبت السياسات الاستعمارية والإمبريالية وما زالت تلعب دوراً كبيراً في تزييف وعي المسلمين والمسيحيين، وتحريض بعضهم على البعض الآخر، وطمس تاريخهم المشترك وتعايشهم خلال التاريخ الطويل، وبذر بذور الشقاق بينهم، والتأكيد على أنها أقرب للمسيحيين وحاميتهم من المسلمين وسندهم عند الشدة، وتنشط بالتالي لفصلهم عن بني قومهم وعن ثقافتهم وحضارتهم، وتعميق الشعور بالغربة لديهم تجاه بلادهم وشعوبهم وقضاياهم.

لم تحقق القومية العربية التي دعا إليها المسيحيون العرب ما كانت ترنو إليه بسبب رغبة العديد من قياديها في الوصول إلى كراسي الحكم والسلطة حتى ولو كان ذلك بثمن باهظ[1]، بدليل أنه تأسست عدة دول عربية تفصل بينها حدود. بالإضافة إلى أن النهضة محصورة بالطبقات العليا الأرستقراطية في المدن، ولم تمسّ الأرياف وجماهير الشعب العريضة إلا بشكل هامشي؛ كما كان منتوجها "إشكالي"، وأيضًا "لم تكن النهضة في وجودها المتعين، إلا تمويهًا آيدلوجيًا برجوازيًا للتبعية". وكذلك اختلاف النظرة إلى القومية في البلد الواحد.

[1] **وليد خالد أحمد**، << الحركة القومية في القرن العشرين >>، مقال إلكتروني، يوم الأحد 19 أفريل2015، على الساعة 16:30، http://www.kitabat.com

معارضة علماء الدين – أمثال أبي الأعلى المودودي في مؤلَّفه بين الدعوة القومية والرابطة الإسلامية، والشيخ محمد الغزالي في مؤلفه حقيقة القومية العربية، والشيخ عبد العزيز بن باز في مؤلفه نقد القومية العربية، ومحمد مصطفى رمضان في مؤلفه الشعوبية الجديدة ومحمد قطب في مؤلفه مذاهب فكرية معاصرة، إلى غير هؤلاء من المفكرين العرب– "الفكرة القومية" من أساسها معارضة شديدة[1].

بروز تياران ضاران عرقلا بشكل بارز تصاعد النضال الجماهيري وساهما في إحباط الحركة القومية في عدة مواقع:

- التيار الأول: هو التيار الذي اعتنق دعاته القضية القومية اعتناقاً لا علمياً حيث تحولت هذه القضية إلى مجموعة إيمانات نهائية لا تقبل المناقشة العقلية، فكان أن تجردت القضية عند أصحاب التيار من محتواها الحقيقي وأفعمت بشعارات سريعة مرتجلة لا أرضية لها.
- أما التيار الثاني: فهو التيار الذي ألغى في حسابه الحركة القومية ولم يمتلك الرؤية الثورية الحقيقية التي يستطيع من خلالها فهم الأبعاد القومية الهامة. وهذا التيار المنتسب إلى الحركة التقدمية، أخفق في تطوير أساليبه في العمل السياسي لكونه انتكس إيديولوجيا باحتفاظه بمفاهيم ضالة عن القومية. [2]

[1] **ساطع الحصري**، (ماهي القومية؟)، مصدر سابق، ص 169.

[2] **عزيز السيد جاسم**، مسائل مرحلية في النضال العربي، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1973، ص ص 109 – 110.